التداول اللغوي للألفاظ القرآنية لدى كتاتيب بلاد هوسا

"ولاية كنو نموذجا"

إعداد:

عبد الرحمن داوود ميكائيل

كلية التربية والدراسات التمهيدية كنو–نيجيريا

مدرسة اللغات، قسم اللغات الإفريقيا، وحدة اللغة العربية

Abdurrahman Dauda Mikail
Kano State College Of Education And Preliminary Studies, Kano- Nigeria
School Of Languages, Department Of African Languages, Arabic Unit.
abuabdallahi2014@gmail.com
+2347032654001/+2348037977103

الملخص:

يتعرض هذا المقال لدراسة وصفية عن التداول اللغوي والخطابي للألفاظ القرآنية ومعانيها لدى قراء بلاد هوسا (Alarammomi) مركزا على ولاية كنو، حيث يقف على استكشاف التغير اللفظي القرآني حينا والمعنوي حينا آخر والتركيبي في بعض الأحايين إلى دلالات يختلقها القراء لإشباع حوائجهم الاجتماعية المادية كانت والمعنوية. وقد يعمد القراء في الكتاتيب إلى خلق زيادة في المفردات أو نقص فيها أو تحريك أو تبديل حرف أو حركة أو سياق للألفاظ القرآنية إلى لغة هوسا، ويعتمدون عند ذلك على تشابه لفظي أو تقارب معنوي الذي يكون بين لغة هوسا واللغة القرآنية. فيحدثون لها تفاعلا لفظيا أو معنويا يتيح لهم دلالات أخرى في لغتهم. ويركز هذا البحث اهتمامه ونظره إلى قراء كتاتيب ولاية كنو كنماذج من باقي ولايات بلاد هوسا. وقد اختار الباحث من هذه الولاية ثلاثة محافظات مراعيا في ذلك تقسيمات جغرافي من الشمالي والجنوبي والشرقي، كما اختار من كل محافظة ثلاث كتاتيب. وهي محافظة دال (Dala)، ومحافظة ألبسوا (Albasu)، ومحافظة بثي (Bichi).

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على النبي الكريم

المقدمة

إنه لا أحد ينكر التداول اللغوي والتطور الدلالي الخاص بالألفاظ والمعاني في كل لغة من اللغات العالمية، وقد نحت الناس كثيرا من المعاني والألفاظ من لغة أخرى إلى لغتهم الأصلية فأضافوا لها ألفاظا ومعاني أخرى مكان الألفاظ أو المعاني التي كانت لها أصليا، أو تكون زيادة لهم في لغتهم. وغرضنا في هذا البحث أن ندرس تلك الألفاظ والجمل أو التراليب والمعاني التي استسقاها القراء (Alarammomi) من القرآن إلى لغة هوسا، والتي صارت لديهم كأداة يستخدمونها لإشباع حاجاتهم وأغراضهم الاجتماعية.

ويترتب على الطريقة للوصول إلى هذه النتيجة أي الوقوف على هذا التداول اللغوي للألفاظ القرآنية بين قراء كتاتيب بلاد هوسا لابد من الإلمام بأمور تتمثل في الفصول والمباحث على حسب ما تبرز هذه الأمور جليا لدى القارئ العزيز. فيمكننا القول بأن هذا البحث يحتوي على مقدمة وخمسة نقاط وخاتمة التي فيها الخلاصة لمضمون البحث، والنتائج التي حصل عليها خلال معالجته والتوصيات.

- دراسة نظرية عن المدلول العلمي للتداول اللغوي.
- الكتاتيب في بلاد هوسا "ولاية كنو نموذجا"
- دراسة تطبيقية عن التداول اللغوي للألفاظ القرآنية في كتاتيب بلاد هوسا "ولاية كنو نموذجا".
- دراسة ميدانية عن التداول اللغوي للألفاظ القرآنية في كتاتيب بلاد هوسا "ولاية كنو نموذجا".
- مناقشة وإحصاء النسبات عن التداول اللغوي للألفاظ القرآنية لكتاتيب بلاد هوسا.
- الخاتمة.

وبمناقشة هذه العناصر السابقة ينكشف مدى تداول الألفاظ القرآنية ومعانيها لدى قراء كتاتيب بلاد هوسا.

دراسة نظرية عن المدلول العلمي للتداول اللغوي

التداول اللغوي في المنظور اللغوي والاصطلاحي.

وهو من أصل الكلمة د، و، ل، قلبت واوها ألفا فصارت "دال" يقال: دال، يدول، دولا: إذا انتقل شيئ من حال إلا حال، وأدل الشيء: جعله متداولا، وتداولت الأيداي الشيئ: أي أخذته مرة بعد مرت[1] وفي المعجم الوسيط مادة "دال" دال الدهر دولا، ودوله: انتقل من حال إلى حال. وأدال الشيئ أو داله: جعله متداولا[2] والدلالات المعجمية لهذه الكلمة أكثرها تدل على الدولان، والتحول، والتغير، والانتقال من حال إلى حال أخرى.

التداول اللغوي من المنظور الاصطلاحي:

والتداولية من القضايا اللسانية التي لفتت أنظار الباحثين في العصر الراهن؛ لما كان لها من الأبعاد التواصلية في عملية التخاطيب بين أفراد المجتمع، وقد حاولوا كشف الفقاب عن هذه الظاهرة منذ زمن طويل، لكن حتى الأن لا يزال بها غموض وضبابية لما ينطوي فيها من تشابك الأراء في نظرياتها. والمتشبع لمباحث علم اللغة الحديث يصادف تعريفات متعددة لقضايا تداوليه.

ومن تعريفات التي قدمت عن الظاهرة تعريف مسعود صحراوي بأنها التداولية "مذهب لساني يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، وطرق وكيفية استخدام العلامات اللغوية بنجاح والسياقات والطبقات المقامية المختلفة التي ينجز ضمنها "الخطاب " والبحث تواصيلة "واضحة" و"ناجحة" والبحث في أسباب الفضل في التواصل باللغات الطبيعية"[3] يؤكد تعريف الصحراوي أن التداول اللغوي استعمال تواصلي يتم تلقية عبر السياف والمقام، فيحول الخطاب من الدلالة الحرفية إلى يساقية، وهو لذلك اتصل لغوي "في إطاره الإجتماعي، بالكشف عن الشروط والمعاطيات التي تسهم في إنتاج الفعل اللوي من جهة كما يبحث في فاعليته وآثاره العلمية من جهة أخرى[4].

يرجع مصطلح "التداولية" إلى علم اللغة الذي يطلق عليه التداولية إعتمادا على الأعمال المنجزة من قبل الفيلسوف والسيميوطيقي شارال وليمام موريس Charles Williams Morris في التلاثنات القرن الماضي"والتحليل التداولي اللغة لا يرتكز على العلامات في ذاتها، ولا يتعامل معها بشكل مستقل، بل يرتكظ على الذين يستخدمونها، وعلى النتائع التي

تحدثها هؤلاء المستخدمون في إطار التفاعل التواصلي للحياة الواقعية[5] ومن ذلك يتبين أنه "تراهن التداولية إذن على مقاربه المعنى أو الدلالة، ولكن ليس المعنى الحرفي المباشر الذي تؤسسه الجملة من خلال العلاقات التركيبية والدلالة التي تقدمها الألفاظ بل تراهن على المعنى الضمنى أو الرسالة المضمنة التي يتضمنها الملفوظ دون أن يشير إليها مباشرة"[6].

والتداولية موضوع متأصل في علم الفلسفة قد بثت له روح جديدة لمقاربة اللغة، وكان من القضايا الأكثر إثارة في علم اللغة الاجتماعي حاليا.

الكتاتيب في بلاد هوسا "ولاية كنو نموذجا"

الكتاتيب في ولاية كنو " محافظة دال نموذجا"

كان للكتاتيب تاريخ متوغل في القدم في ولاية كنو، يصعب على الدارين تحديد الوقت الذي نشأت فيه، وكل ما يعرف عن ذلك هو أن نشأة الكتاتيب في ولاية كنو مرتبطة فيها منذ قرون كثيرة، ويقال: إن الإسلام ظهر فيها منذ قرون كثيرة، ويقال: إن الإسلام دخل في ولاية كنو في القرن الرابع عشر الميلادي، وأن أو ملك فيها هو عَلِيُّ يَاجِي(Aliyu Yaji) (1349 – 1385م) وانتشر الإسلام في عهده.[7]

وللمدارس القرآنية أسماء متعددة عند الهوساويين، تسمى (مَكَرَنْتَرْ أُلُو) أي مدرسة الألواح؛ لأن التلاميذ يستخدمون الألواح الخشبة فيها للدرس، وتسمى أيضا (مَكَرَنْتَرْ تُوكَا) يعني مدرسة الرماد؛ لاستعمال النا الموقدة فيها ليلا بدلا من الكهرباء، فيتولد من تآكل النار رماد كثير، وتسمى أحيانا (مَكَرَنْتَرْ مُحَمَّدِيَّة) أي مدرسة المحمدية! للتمييز بينها وبين المدارس النظامية"[8]. وجد عدد كبير من القراء أسسو كتاتيب يلقونون فيها القرآن لأبناء المسلمين، ومن أستهم الكتاتيب في مدينة كنو ما يلي:

كتاب الشيخ محمد منزو أرزي:

أسسه الشيخ محمد المحمود بن مَالَمْ مَيْمن كبار العلماء والقراء الذين تعتز بهم مدينة كنو. ولد في دَمَغَرَنْ في جمهورية نيجير حوالى عام 1882م، وكانت أسرته أصلا كُوكُاوَا من برنو هاجر منها أبوه مَالَمْ مَيْ إلى دَمَغَرَنْفأنجب فيها ابنته المبارك مالم مَنْزُو ونشأ بها[9].

هكذا نشأ الشيخ في بيت العلم، حيث شرع في حفظ القرآن عند والده وأكمله عند إخواته حتى تضلع فيه وفي بعض العلوم خصوصا علوم القرآن، فاسسه كتابه المشهور.

يقع في مدينة كنو، تقع في محافظة دَالَا حاليا. ومن إنجازات المعهد تغيير اسم الكتاب من "معهد الشيخ منزو أرزي" إلى معهد الشيخ منزو لتجويد القرآن والمبادئ الإسلامية" وهذا من أجل إضافة دروس جديدة بعد قراءة القرآن مثل: التجويد، الحديث، الفقه، علوم القرآن، علوم اللغة، وغير ذلك من العلوم. وكان عدد التلاميذ من قبل-يتراوح بين ثلاثين إلى خمسين تلميذا يتلون الدرس في دهليز واحد، ويبلغ عددهم الأن أربعة آلاف تلميذا تقريبا، ولهم خمسة وخمسون فصلا، وله من المدرسين ما يبلغ خمس وخمسين مدرسا[10]. وهذا التقدم والتطور قد تحقق بفضل جهود المعتنين بالمعهد.

كتاب غوني نَدُودُ

أسس هذا الكتاب غوني إبراهيم بن غوني صالح بن غوني يوسف، وهو قارئ كبير مشهور في مدينة كنو. قد أسهم بالجدية في تعليم القرآن. ولد في منصف القرن التاسع عشر الميلادي في قرية أوجر في ولاية جغاوا حاليا، ترعرع في هذه القرية وبدأ حفظ القرآن على يد والده الذي أولاه اهتماما بالغا، وبعد أن أتم حفظ القرآن زوجه أبوه بنتا تسمى "دُودُ" ثم انتقل إلى قرية غُومْبِي في منطقة هَطَيجِيَا في ولاية جِغَاوَا هناك تزوج امرأته الثانية وبالمصادفة كان اسمها دودو، بمعنى الماهر زوج دُودُ الأولى دُودُ الثانية[11].

تقع الكتاب في حارة قوقي كنو، وهذا الكتاب من الكتاتيب العريقة المجد في مدينة كنو تخرج فيها جمٌّ غفير من الحافظ الذين يسار إليهم بالبنان، إلا أنه "مازال على نهج قديم أي لم يدخله التطور كما دخيل غيره من المعاهد، وذلك لصمود ولاة أمر هذا المعهد على الشباب على ما تركهم عليه عاملهم "الشيخ غوني ندود" إلا أنه من بين أحفاده من تحاول دوما أن يسأى بالتطور في هذا المعهد لكنه مازال يعاني من صعوبات، وعوائف أسرية، ومع ذلك فإنه اصطبر على مواصلة هذه المحاولة نحو تقديم هذا المعهد[12].

كتاب غوني طن زرغا

وهو من أكر الكتاتيب المسهمة في تقديم قراءة القرآن في ولاية كنو، أسسه الشيخ صالح بن عبد الله بن عبد الله ولد عام 1916م – 1990م. في بلدة (كَاتُوغِي) ولاية "كَنُو"من أصل كانوري، هاجر والده من مَيْدُغْرِي إلى "كنو" واستقر بها إلى أن توفاه الله، توفي والده وهو صغير السن، وبعد وفاة والده بقليل، أخذته والدته إلى مسقط رأسها وهي قرية "زَرْغَا" الواقعة في محافظة "جَاهُونْ" ولاية جِغَاوَا[13]. لكن الدكتور الرفاعي يرى أن غوني طن زرغا ولد في الثلاثينات من القرن العشرين الميلادي في قرية جَاهُونْ في ولاية جغاوا[14].

قام هذا الكتاب على أساس متين من الجهد والحزم في تلقين القرآن الكريم صباحا ومساء، فالتلاميذ يأخذون الدرسا الجديد في الصباح وفي المساء يكدرونه، وأسست مدرسة إعدادية الاسلامية تابعة للمهعد لتساير العصر الراهن؛ بحيث كليا مع مواد إضافية تزوده بعلوم أخرى.

كتاب الشريف أحمد مصطفى غباري:

تقع هذه المدرسة في حارة غباري بمدينة كنو، "يرجع تاريخ تأسيسها إلى ابني الشريف الحاج محمد المصطفى، وهما السيد الشريف الحاج محمد المصطفى بحارة شريفي (Sharifai) بمدينة "كنو" وهي الحارة التي نزل بها الشيخ المغيلي التلمساني، وسكن فيها وأنجب أولادا، وكلهم شرفاء والحاج المصطفى من سلامة المغيلي"[15].

سمي الشيخ جادا في وضع اللبن الأولى لهذه المدرسة وممن ساعد في تطورها ابناه الشريف أحمد والشريف بلا. وكان يتوجه إليها التلاميذ من كل حدب وصوب لتلقي القرآن الكريم، وقد اتخذت المدرسة نظاما يتماشي مع العصر فاشتهرت في ديار كنو نالت مدرسة غَبَارِي في السبعينات والثمانينات شهرة عظيمة لم تنلها مدرسة قرآنية في مدينة كنو من قبل، فقد التحق بها تقريبا أولاد كافة أعيان المدينة من التجار والأمراء، وامتلت بمئات الطلاب، وكانو يملئون الشوارع بعد إنهاد الدراسة منصرفين إلى ذويهم"[16]

دراسة تطبيقية عن التداول اللغوي للألفاظ القرآنية في كتاتيب بلاد هوسا "ولاية كنو نموذجا"

التداول اللغوي المفرد للألفاظ القرآنية:

من التعارف عليه أن الألفاظ المتداولة قد تكون مفردة اختزلت من جملة، وقد تكون جملة منقولة كما هو من نمير تحريف ولا تغيير في بنية الجملة، والألفاظ المفدرة تكشب دلالة جديدة عبر انتقالها إلى نظام، فإنها تكتسي بذلك أبعادا لا يمكن أن نلاحظها عند ما تسخدم منفردة، فمن ناحية أولى تدخل الدلالة في علاقات المحور الاسبدالي ذي التداعى المترابط Paradigmatiques مع سائر الدلالات الأخرى. ويمكن أن نلاحظ أن دلالتين تتفقان أو تختلفان، وأن إحداهما تندرج تحت الأخرى أو لا تندرج تحتها، أن دلالة تستلزم أخرى أو تفترض وجودها مما يؤدي إلى القول بأن معجم لسان ما يكون بالغ الترتيب، والتنظيم، وأن أنواع دلالاته يعرف بعضها بعضا، ويترابط بعضها مع بعض"[17].

ومن الألفاظ المفردة التداولة ما يلي:

- **وحنانا:**

وهي مأخوذة من قوله تعالى: " وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا..."[18] تتداول الكلمة بين القراء بمعنى تختلف عن المعنى المعجمي، استخدموا "الحنان" التي ترد بمعنى: "الشفقة في اللغة العربية وأرادوا بها "نَاحَنَا"(NA HANA) وهي جملة هوساوية تعني: "لا أعطي" تتوفر بين الكلمات أداوت صوتية أكثر إنساجما بالتشكيل الصوتى، والأثر الصوتى يتمثل في وقوع "نونين" في كلا اللفظيتين، والحاء مرة، والألف مرة أيضا، كأسب القارئ دلالة ثانية لكلمة "الحنان" معتمدا على التشابه الصوتى الذي يقع بينهما.

ينبوعا

وهي من الألفاظ التي تجلت في القرآن الكريم عند قوله تعالى: " وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنْ الأَرْضِ يَنْبُوعاً"[19] واستعملها القراء بمعنى انزياحي يختلف تماما عن المعنى الوضعي لأصل الكلمة، يطلقون اللفظة ويشيرون بها إلى أن شيئا كان قبيحا جدا، استسقوا هذه الدلالة من يساق الآية في الجملة القرآنية "ومدلول الكلمة يتغيير تبعا للحلات التي يكثر فيها استخدامها.[20]

- **تقيًا**

تتداول كلمة "تقيا" في قوله تعالى: " قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنتَ تَقِيّاً"[21] بين القراء، فيستعملون "تقيًا" الواردة بمعنى الخاشع في القرآن الكريم، فاطلقوها وأرادوا بها "ناقي" الهوساوية التي بمعنى "لا أعطي أو لا أفعل" ولعل تلميح حرف القاف الواقع في لفظة "تقى" و"ناقي" (NAKI) هو الدافع الأساس لاستخدام اللفظة بمعنى التداول، على الرغم من أنه لا علاقة بين اللفظتين دلاليًا.

- **ما يلي كلمة "الملائكة"**

يعنون بذلك "قبيلا" في قوله تعالى: " أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً"[22] و"قبيلة" عند الهوسا هو كل من أصله ليس هوساوي أي من قبيلة أخرى، فكان القراء يدلون على ذلك الأجنى بقولهم ما يلي كلمة الملائكة، وهذا نوع من التحايل على صراحة الكلمة فلم يذكروا الكلمة مباشرة على الرغم من أنهم لم يغيروا شيئا إلا قليلا من دلالة اللفظة، وإنما قصروا دلالة الكلمة على من ليس من قبيلتهم، من بعد أن كانت دلالتها عامة لكل أفراد مجتمع في اللغة العربية. وتداول مثل هذه الألفاظ في طبقة القراء ليس بغريب إذ كل طبقة تعبر "عن دلالة ما وفقا للمرجعية الاجتماعية للمتكلمين، فنجد انطلاقا من ذلك تعابير خاصة بالبدو والحضر والمتعلمين والحرفيين والتجار والمنحرفين وغيرهم"[23]

- **ما يلي أشد الناس:**

وهو "العداوة"في قوله تعالى: " لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ "[24] وهي من الألفاظ التي لم يصبها تغيير وتحريف عند التداول، بل بقيت أصالتها الدلالية، وحينما أطلقوا الجملة يعنون رجلا كانت بينه وبينهم عداوة.

- **ما يلي "البائس"**

ويعنون بهذا "الفقير" كما في آية القرآن الكريم: ... لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ "[25] يذكرون الآية على هذه الشاكلة للإشارة إلى رجل فقير، وهذا الاستعمال أيضا بقي

على معناه الأصلي ولم يتبدل دلالته. وعلى هذا المنوال أخذ القراء ألفاظا كثيرة من القرءان الكريم وتواصلوا بها فيما بينهم احتكارا بها على غيرهم.

- **الصلب:**

وهو منقول من قوله تعالى: " يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ "[26] يستعملون الأية في الطب لتيسير مشقات الولادة، وقد راعى القراء خفة الكلمة على اللسان عند النطق فتفاعلوا بها في تسهيل الولادة، ولا علاقة من البنية الدلالية السطحية بين "الصلب" وتيسير الولادة إلا أنه يعتمد أحيانا تغير معنى كلمة ما على مبلغ وضوحها في الذهن، فكلما كان مدلول الكلمة واضحا في الأذهان قل تعرضه للتغير وكلما كانا مبهما غامضا كثر تقلبه وضعفت مقاومته للإنحراف[27]

الزاريات:

إن لفظ "الزاريات"[28] كلمة أخذت من القرآن الكريم ويرادون بها "رجل مجنون" ولا علاقة لهذه الدلالة بالدلالة الأصلية، إلا أنه يمكن تتشكل أواصر دلالية بين "الزاريات" العربية و"زاريوا"(ZAREWA- HAUKACEWA) الهوساوية التي تعنى "المجنون" في للزاي، والألف، والراء، والياء حضور في كلتا الكلمتين لعل هذا هو الذي دفع القراء إلى استخدام اللفظة القرآنية بمعنى المجنون.

التداول الفكري التركيبي والمعنوي للالفاظ القرآنية :

التركيب من السمات التداولية التي يستعملها القراء أثناء الخطاب، حيث يستدعون آيات قرآنية ليؤدوا بها معنى كامن في أعماقهم، وأحيانا هذه الأيات لا تمت بصلت إلى المدلول، وتارة يربط بها خيط دلالي خفيف فيشكلون بذلك مفارقات درامية. و"إن دلالة الجملة لا تعتمد جزئيا على معاني الكلمات التي تتكون منها، إذ لا بد من مراعاة العناصر غير اللغوي، والوظائف التي تؤديها الجمل والسياقات المختلفة، مع مراعاة الوظئف، الصوتية، والصرفية، والنحوية لكل كلمة فصل بين الوظائف التي يكمل بعضها بعضا، مع ملاحظة الكيفية التي يأتي فيها الكلمة داخل التركيب من حيث موقعها وعلاقتها بغيرها من الكلمات، مع التوكيد على ملاحظة السياق أو المقام الذي تجري فيه اللغة"[29].

ومن التركيب والمعاني الشائعة في عملية التداول بين القراء ما يلي:

- قد من دبر

وهذا جزء من آية قرآنية في قوله تعالى: " وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنْ الصَّادِقِينَ "[30] يتداول بها القراء بالإشارة إلى "رجل قرم" وهو شخص مفرط القصور يسميه البعض "طَنْ قُنْدَالُو" باللغة الهوساوية، ولعلهم شعروا بجرس "القاف" والدال" في ذلك التركيب العربي والكلمة الهوساوية، فعدموا لذلك إلى استسقاء معنى جديد من الجملة. يدل هذا على أنه يتغير معنى بعض المفردات عند انتقال اللغة من السلف إلى الخلف، وتتدخل هنا عوامل كثيرة تؤثر على بعض المفردات فتغير معناها وتنقلها من حال إلى حال. وهنا يظهر بشكل خاص أثر العوامل الإجتماعية والنفسية التي تؤثر على مدلول الكلمات"[31]

- ناصية كاذبة:

حينما يطلق القراء هذه الأية ((نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ)) [32] يشيرون بها إلى أن هناك تباينا في الرأي بينهم وبين شخص آخر، وليس هناك مناسبة ظاهرة بين المعنى الأصلي والإضافي في هذا التركيب، ولعل وقوع "ناص" في كلمة "ناصية" العربية و"ناس" بمعنى لهم في اللغة الهوساوية يوحي بجرس وموسيقى دفعت القراء إلى التداول بالتركيب على وجه خاص. "إن اللغة كما رأينا، وظيفة منطقية أو إدراكية. وهي تقوم بإيصال المفاهم إلى ذهن المخاطب، وذلك باستدعاء الصور التي تكونت في أذهاننا نحن. وهذا الإيصال هدف من أهداف العلم والمعرفة المنطقية، ولكنه أيضا بشكل غير مباشر، هدف للإيصال الإجتماعي الذي هو في جوهره إرادي: نحن نوصل أفكارنا لكي نحظى ببعض ردود الفعل"[33]

- لكم دينكم ولي الدين:

عندما يريد القراء الإشارة إلى اختلاف الرأي بينهم وبين أحد وأنه يحسن بالطرفين أن يمسك كل منهما برأيه من غير الهجوم على رأي الآخر. فيقولون: ((لكم دينكم ولي دين)) [34] وهي آية قرآنية تذكر التباين العقدي بين طرقين.

- كانا يأكلان:

وهي آية أخذها من القرآن، في قوله تعالى: ((... وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمْ الآيَاتِ...)) [35] يشيرون بهذه الآية أن أحدا يأكل طعما أو شيئا مما تدور دلالته

حول تناول الطعام، اقتيسوا من الدلالة الأصلية المتداولة هذا المعنى فدل هذا على أن هناك أوصر دلالية قوية بين النص وتداوله، ولم يغيروا شيئا من دلالته الأصلية إلا بالسياق والمقام.

- دكا دكا:

والصوت قد لعب دورا فعال في تداول الجملة بهذه الحيشية، والجملة من كلمتين ((كَلاَّ إِذَا دُكَّتْ الأَرْضُ دَكّاً دَكّاً))[36] وفيها حروف قوية أكسبت الجملة قوية ومتانة عند النطق بها، ولعل هذا هو السر وراء استعمال الجملة للدلالة على رجل سمين قوي، فتشكل من هذه الظواهر علاقة صوتية ساعدت في توليد المعنى المتداول. "يتغير المعنى لأننا نعطى اسما عن عمد لمفهوم ما من أجل غايات إدراكية أو تعبيرية. إننا نسمى الأشياء ويتغير المعنى لأن إحدى المشتركات الثانوية (معنى سياقى، قيمة تعبيرية، قيمة اجتماعية) تنزلق تدريجيا إلى المعنى الأساسى وتحل محله، فيتطور المعنى، يكون التغيير في الحالة الأولى فرديا، وشعريا، ومتقطعا. بينما يكون في الحالة الثانية جماعيا وغير شعوري، ومترجا. وهو ينتج في الحالتين عن تغير في بنية المشتركات النفسية المكرنة للمعنى ولقيم الكلمة"[37]

- صفا صفا:

وهو ضد "دكا دكا" السابقة فإن ((وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً))[38] تعنى رجل خفيف، وق صادف هذا كلمة "سفَّ سفَّ" الهوساوية التي تعني خفيف، وهذا التطابق الصوتي هو الذي لفت انتباه القراء إلى استغلال الكلمة بالمعنى المتداول.

- قالوا ياذا القرنين:

في أوساط القراء تعني الآية: ((...قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ...))[39] "شخصا طويل القامة" وبالنظر إلى البينة الدلالية المرتبطة بالتركيب يتأكد أن هناك تباينا بين معنى الآية الاصلية والمتداول على ألسنة القراء في الكتاتيب خصوصا في البينة السطحية.

التداول اللغوي الطبي (Lakani) للألفاظ القرآنية:

هناك وسائل طبية تتمتع بها البيئة الهوساوية، ومن بيتها أسرار يكشفها القراء من القرءان الكريم وهي آيات وسور وقعت في أوئل السور. وبين محتوي الأيات الدلالي وبين ما

العلاقات يتفاءلون أو يتشاءمون بها، ويلحقون بها أحيانا قوى روحانية جلبا لمصالح أو دفعا عن مساوئ.

ومن الآيات القرآنية المتداولة لهذا الغرض ما يلي:

- سورة يس[40]

يتلونها وأحيانا يكتبونها فيدفنونها أو يعلقونها كتعويذة للرفع عن مكروه، أو رد شر، أو سحر، وغير ذلك من الفوئد الطبية.

- قال تعالى: ((إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً)) [41]

يتلو القراء هذه الآية لمعاجلة لسع العقارب، ولعل حضور مقطوع "قم" في "قمطريرا" العربية وهوافقتها —"قم: في لغة هوسا التي تعني "الوقوف" هو الذي جعلهم يتطببون بها في معاجلة سم القارب؛ لا يقاف تأثيره، يبدو من ذلك أنه لا علاقة بين مضمون الآية وبين ما يقصد القراء بها، ومع ينجح الطب بفضل قوة العزيمة.

- قال تعالى: ((...لا فِيهَا غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ))[42]

يتطب القراء بهذه الآية لمن يحد وجعا في أذنه، ويتداول الآية بهذه الخاصية، علم الرغم أنه لا تظهر علاقة قوية بين الرسالة التواصلية التي تحملها الآية وبين ما تستعمل من أجله. لكن الطب بهذه بمثل هذه اليات قد جرب مرارا وتكرار ونجح في التداومي

- قال تعالى: ((قَالَ يَبْنَؤُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي)) [43] "ولم ترقب" هي الجملة التي يتلونها فقط من هذه الآية فتقرأ أو تكتب فيصنع بها تعويذة. وفائدة الآية هي الوقاية من ضرب بسوط أو عصا أو أي سلاح أخر، يعمل بالآية من ارتكب جريمة ويخاف من عقوبة الضرب، وهناك وشائح دلالية بين الخطاب الذي تضمنه الآية وبين الفائدة الملحوظة فيها؛ لأن في الأية الشعور بالخوف كما في قول هارون: "إني خشيت" وكذلك الإعتذار والتوقي المتميل في "لا تأخذ".

- قال تعالى: ((وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ

وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنْ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ))[44]

وعندما يمس الجن أحد يرقى له بالآية استسفاء، وهي مما يقرأ في الرقية لطرد شياطين الجن التي مست المصاب. والآية تسرد قصة نبي الله سليمن عليه السلام وما من الله عليه من التصريف وتسخر الجن والتحكم عليها. ومن ذلك يتجلى أن القراء والعلماء لا حظوا المعنى الذي تطوى عليه الآية في اختيارها لطرد الجن وتحريقها.

- قال تعالى: ((سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ))[45]

يقرءون "سيص" فقط من سورة الحطب لجلب الزبون والزواج أو مستوق، على الرغم من بعد بين دلالة والآية وبين ما يقصده القراء في التداول بها.

- قال تعالى: ((تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ))[46]

وإذا شرقت شئ يكرّرون "تبت" يدا مرادا بغية إكتشاف السارق أو العثور على الشئ المسروق والآية تحكى عن فعلة أبي لهب الشنيعة والعقبر الوخيمة التي أعدها الله له من أجل إيذاءه لجناب النبي صلى الله عليه وسلم، ولعلهم يرمزون إلى السارق بأبي لهب ويدعون له بالويل والثبور حتى يرد ما سرقه.

- قال تعالى: ((ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ))[47]

دراسة ميدانية عن التداول اللغوي للألفاظ القرآنية في كتاتيب بلاد هوسا "ولاية كنو نموذجا"

دراسة الاستبانات والمقابلات ومناقشتها

1) للألفاظ القرآنية المتداولة بين قراء الكتاتيب أثر ظاهر في تأدية الرسالة الخطابية.

الإجابة	العدد	النسبة المؤوية
موافق	24	50%
إلى حدما	12	27 %
غير موافق	1	25 %

قد تفوقت نسبة الموافقين على وجود أثر ظاهر للتداول اللغوي في تأدية الرسالة الخطابية في ولاية كنو، حيث وافق على ذلك 50% من المجيبين، وأضف إلى ذلك 27% من الموافقين إلى حدٍّ ما.

2) هناك دوافع تسهم في انشاء التداول اللغوي للألفاظ القرآنية بين قراء الكتاتيب:

الإجابة	العدد	النسبة المؤوية
موافق	23	53%
إلى حدما	11	25%
غير موافق	2	4 %
المجموع	43	

الموافقون على وجود دوافع تسهم في إنشاء التداول اللغوي للألفاظ القرآنية بين قراء الكتاتيب تبلغ نسبتهم 48% وكذلك الموافقون إلى حدما تبلغ نسبتهم 18% يدل هذا على التفوق على ظهور تلك الدوافع، وانحطت نسبة شيوع غير الموافقين.

3) هناك وسائل التي يلجأ إليها القراء في استخراج الألفاظ والمعاني من القرآن الكريم إلى لغة هوسا.

الإجابة	العدد	النسبة المؤوية
موافق	28	65%
إلى حدما	5	11%

غير موافق	4	9%
المجموع	43	

اعتلت النسبة الوؤوية للموافقين فبلغت 65% وبإجمال الطرفين يتأكد أكثر المجيبين قد وقفوا على أن هناك وسائل يتتبعها القراء عند استخراج الألفاظ والمعاني من القرآن الكريم. "ومن أكبر الوسائل التي يلتجأ بها القراء في هذه العملية رصد التشابه الصوتي، والتقارب الدلالي بين النصوص المتداولة"[48]

4) تطورت لغة هوسا بالتداول اللغوي من وسيط القراء في الكتاتيب

الإجابة	العدد	النسبة المؤوية
موافق	24	55%
إلى حدما	3	6%
غير موافق	7	18%
المجموع		

وافق 55% من المجيبين على مصداقية التطور الذي أصاب لغة هوسا بسبب التداول اللغوي من وسيط في الكتاتيب، ورفض ذلك الزعم القليلون منهم.

5) ينجح التداول اللغوي في التعبير الدقيق عن أغراض المتكلم.

الإجابة	العدد	النسبة المؤوية
موافق	25	58%
إلى حدما	9	10%
غير موافق	2	4%
المجموع	43	

يظهر من هذا الجدول رجحان الموافقين على نجاح التداول في دقة العتبير عن أغراض المتكلم. يدل هذا على أن التداول وسيلة تواصلية قادرة على التعبير عن خلفات المتكلم؛ ولذلك يستعمله القراء كوسيلة تعبيرية في أوساطهم.

6) الكتاتيب في بالاد هوسا أسهمت في كملية التداول اللغوي من القرآن الكريم.

الإجابة	العدد	النسبة المؤوية

موافق	21	48%
إلى حدما	8	18%
غير موافق	8	18%
المجموع	43	

الموافقون على هذا الإقرار هم 48% والموافقون إد حدما هم 18%، وحسب هذه الاحسائية يتجلى أن الموافقين هم أكثر عددا، وهذا يؤكد دور هذه الكتاتيب في التداول بالنصوص القرآنية في بلاد هوسا.

7) هناك ارتباط وثيق بين الألفاظ والمعاني في التداول اللغوي للألفاظ القرآنية لدى قراء الكتاتيب.

الإجابة	العدد	النسبة المؤوية
موافق	22	51%
إلى حدما	5	11%
غير موافق	9	20%
المجموع	43	

من هذه الإحصائية يتبين أن الموفقين على وجود ارتباط بين الألفاظ والمعاني في التداول اللغوي هم الراجحون بنسبة 51%، والرافضين لهذا الزعم 20%.

8) هناك علاقة تولدت بين لغة هوسا واللغة العربية بسبب التداول اللغوي بين القراء.

الإجابة	العدد	النسبة المؤوية
موافق	20	46%
إلى حدما	10	23%
غير موافق	5	6%
المجموع	43	

وأكثر المجيبين يتواطئون على ولادة علاقة بين لغة هوسا واللغة العربية من أجل التداول بين القراء، وتبلغ نسبة الموافقين 46% والموافقين إلى حدما 23%، يقر الجدول نشأة هذه العلاقة، ورفض القضية6%.

9) يحصل التداول اللغوي عفوا واعتباطيا من غير التفكير والنظر.

الإجابة	العدد	النسبة المؤوية
موافق	25	58%
إلى حدما	9	20%
غير موافق	3	6%
المجموع	43	

الجدول يوضح أن 58% وافقوا على إعتباطيَّة التداول اللغوي، وكذلك 20% واقفوا إلى حدٍّما، هذا العدد يؤكد أن القراء عندما يتداولون بالألفاظ القرآنية لا يراعون ضوابط وقواعد معينة، بل تأتي عفويًّا.

10) العلماء في الكتاتيب هم الذين يستقلون بالتداول اللغوي دون تلامذتهم وعامة الناس.

الإجابة	العدد	النسبة المؤوية
موافق	18	14%
إلى حدما	4	9%
غير موافق	14	32%
المجموع	43	

وهذا الجدول يؤكد أن 32% ولم يوافقوا على أن العلماء ليسوا فقط من يستقلون بعملية التداول اللغوي، فلإحاصئية أذعنت بعموم التداول للعلماء وتلامذتهم وعامة الناس.

لم يكن العلماء يستقلون بالتداول اللغوي، بل يساركهم في ذلك تلامذتهم وبعض الناس يؤكد هذا الزعم الإحصاء الذي يظهر من هذا الجدول؛ إذ الموافقين لهم 48%، والموافقون إلى حد ما يبلغ عددهم 12%، والذين لم يرضوا به يمثل عددهم 48%.

الخاتمة

ناقش هذا المقال قضية التداول اللغوي والخطابي للألفاظ القرآنية ومعانيها لدى قراء بلاد هوسا (Alarammomi) حيث ركز على تناول النماذج المدروسة من كتاتيب ولاية كنو، استكشف التغير اللفظي القرآني والمعنوي والتركيبي من قراء هذه الكتاتيب إلى دلالات يختلقونها لإشباع حوائجهم الاجتماعية. وقد حصل الباحث نتائج تنلعث من خلق زيادة في المفردات ونقص القرآنية لدى هؤلاء القراء بل وتبديل حرف وحركة وسياق في بعض المعاني القرآنية كي تتوافق مع لغة هوسا في تأدية المعاني، فكان لهذا السبب تفاعلا لفظيا ومعنويا بين اللغتين العربية والهوسا.

وبالتفصيل يمكن بعد كل هذه المحاولات القول بأن هناك:

- إمكانية وجود تداول لغوي للألفاظ القرآنية لدى هؤلاء القراء الذ يكون نتيجة تعاملهم مع القرآن الكريم في كل الأحوال.
- إمكانية الوصول إلى الوسائل المستخدمة لهؤلاء القراء عند هذا التداول اللغوي، ومدى العلاقة والارتباط الموجود بين لغة هوسا واللغة العربية.
- الوصول إلى مدى قدرات هؤلاء القراء في استخدام الألفاظ القرآنية لإشباع حاجاتهم الاجتماعية.
- إثبات الحكايات المأثورة عن هؤلاء القراء التي تبين بعض التداول اللغوي بينهم.
- إمكانية تزويد لغة هوسا بألفاظ قرآنية التي قد تندرج تحت مفرداتها بالتطور يوما، الأمر الذي يتحرك علاقة قوية بين لغة هوسا واللغة العربية أو اللغة القرآنية.

فهذه أهم ما وصل إليها هذا المقال من النتائج.

المصادر والمراجع والهوامش:

[1]- ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ص: 327.

[2]- أنيس، إبراهيم (الدكتور) وآخرون، المعجم الوسيط، بدون معلومات النشر، ص: 327.

[3]- صحراوي، مسعود (الدكتور) التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، دار الطليع، بيروت، ط:1، 2005م، ص: 5.

[4]- بن غيسي، عبد الحليم (الدكتور) المرجعية اللغوية في النظرية التداولية دورية بحثية متخصصة في الدراسات الأدبية، مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعليمية، العدد: 1، 2008م، ص: 11.

[5]- إلفي، بولان، المقاربة التداولية للأدب، ترجمة محمد تنفو ليلي احميانى، روية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط:1، 2018م، ص:19.

[6]- المرجع السابق: ص:8.

[7]- أرزي، سكيرج سليمان، الكتاتيب في كنو بين الماضي الحاضر، مؤسسة غورن دشسي للبحث والفتوى والارشاد كنو، ط:1، 2018م، ص: 56.

[8]- أرزي، سكيرج سليمان، الكتايب في "كنو" بين الماضي والحاضر، مرجع سابق، ص: 59.

[9]- حمزة، رفاعي أوبا (الدكتور) تطور علم القرءات والشؤون القرآنية في نيجيريا، دار الاستقامة، القاهرة، ط:1، 2019م، ص: 365.

[10]- أرزي، سكيرج، الكتاتيب في "كنو" بين الماضي والحاضر، مرجع سابق، ص: 72.

[11]- ارزي، سكيرج سليمان، الكتاتيب في "كنو" بين الماضي والحاضر، مرجع سابق: ص:76.

[12]- أرزي، سكيرج سليمان، الكتاتيب في "كنو" بين الماضي والحاضر، مرجع سابق، ص: 76.

[13]- المرجع السابق

[14]- حمزة، رفاعي أوبا (الدكتور) تطور علم القراءات والشؤون القرآنية في نيجيريا، مرجع سابق، ص: 373م.

[15]- أرزي، سكيرج سليمان، الكتاتيب في ولاية "كنو" بين الماض والحاضر، مرجع سابق، ص:

[16]- حمزة، رفاعي أوبا (الدكتور) تطور علم القرءان والشؤون القرآنية في نيجيريا، مرجع سابق، ص:

[17]- فنيني، عبد القادر، المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث، افريقيا الشرق، المغرب، ط:2، 1999، ص:36.

[18]- سورة مريم، الأية: 13

[19]- سورة الاسراء، الأية: 90.

[20]- أبو عودة، عودة خليل،التطور الدلالة بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم، مكتبة المنار، الزرقاء، ط:1، 1985م، ص:53.

[21]- سورة مريم، الأية: 18.

[22]- سورة الاسراء، الأية: 92.

[23]- بوزوادة، حبيب، علم الدلالة التأصيل والتفصيل، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008م، ص: 58.

[24]- سورة المائدة، الآية: 82.

[25]- سورة الحج، الآية: 28.

[26]- سورة الطارق، الآية: 7.

[27]- أبو عودة، عودة خليل، التطور الدلالي، مرجع سابق، ص:54.

[28]- سورة الزاريات ، الآية: 1.

[29]- نمر، هادى (أ.د) علم الدلالة التطبيقي، دار الأمل، الأردن، ط:1، 2007م، ص:103.

[30]- سورة يوسف، الآية:27-28.

[31]- أوعودة، عودة خليل، التطور الدلالي، مرجع سابق، ص:54.

[32]- سورة العلق، الآية: 16.

[33]- عباشي، منذر، (الدكتور) علم الدلالة، طلاس، دمشق، ط:1، ص:58.

[34]- سورة الكافرين، الآية: 6.

[35]- سورة المائدة، الآية: 75.

[36]- سورة الفجر، الآية: 21.

[37]- عباشي، منذر (الدكتور) علم الدلالة، مرجع سابق، ص: 99.

[38]- سورة الفجر، الآية: 22.

[39]- سورة الكهف، الآية: 94.

[40]- سورة يس.

[41]- سورة الإنسان، الآية: 10.

[42]- سورة الصافات، الآية: 47.

[43]- سورة طه، الآية: 94.

[44]- سورة البقرة، الآية: 102.

[45]- سورة النسد، الآية: 3.

[46]- سورة المسد، الآية: 1.

[47]- سورة القيامة، الآية: 19.

[48]- المقابلة الشخصية